﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: 82]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

نـزول القـرآن بالشّفاء والرّحمة يدحض الأباطيل ويُزهقها

بعد أن ذكرَ في الآية السّابقةِ ما يُشير به إلى أنَّ الحقَّ لا خوفَ عليه، وأنَّ الباطل لا خوفَ منه؛ لأنَّ الحقَّ جاءَ، والباطلَ زهقَ؛ أخبر في هذه الآية عن كيفيةِ مجيء الحقِّ، وهو تنزُّلُ القرآن بالشِّفاء والرَّحمةِ، وهذا التَّنزُّلُ يدحضُ الأباطيل، ويُزهقُها، فأشار إلى كيفيَّة زهوقِ الباطل كذلك، بوصْفِ القرآن - الذي نوَّه به في آية ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ - هو مصدرُ الحقِّ، والسَّببُ الأعظمُ في إزهاق الباطل الذي هو كالسِّحر، ودحضِه، وهو الجامعُ لجميع ما مضى منَ الإلهيّات والبعثِ وما تبعَ ذلك؛ قال عاطفًا على ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ [الإسراء: 70]: ﴿وَنُنَزِّلُ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خَسَارًا﴾: أصلُ (خسر) يَدُلُّ على النَّقْصِ، فالخَسارة والخَيْسَرَى: الضَّلالُ والهَلاكُ والنُّقصانُ، والخاسِرُ: الَّذي وُضِعَ في تجارتِه[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ونُنزِّلُ من آيات القرآن العظيم ما يَشفي القلوبَ مِنَ الأمراض، كالشَّكِّ والنِّفاقِ والجهالةِ، وما يَشفي الأبدانَ برُقْيتِها به، وما يكونُ سببًا للفوز برحمة الله بما فيه مِنَ الإيمان، ولا يزيدُ هذا القرآنُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 497، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 188.
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (خسر).

الكفّارَ عند سماعه إلّا كُفرًا وضلالًا وهلاكًا؛ لأنَّ سماعَه يغيظُهم، ويزيدُهم تكذيبًا وإعراضًا عنه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ العطفِ بالواو:

القرآنُ عنوانُ الحقِّ وموضوعُه ومصدرُه

جملةُ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ معطوفةٌ[2] على جملة ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ لبيان أنَّ الباطلَ ما يزال يزهقُ، والحقَّ ما يزال يتنزَّلُ، فيظْهَرُ، وخُصَّ الحقُّ بالقرآن؛ لأنَّه مصدرُه ووعاؤه، أو الجملةُ استئنافيَّةٌ[3] بعد تقرير المُفاصَلَة بين الحقِّ والباطل في ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ للانتقال ممّا يدلُّ على الموت والهلاك، وهو وصفُ ﴿زَهُوقًا﴾، إلى ما يدلُّ على الحياة والشِّفاءِ، وهو ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾، فإنَّ التَّنزيلَ لفظٌ يدلُّ على الحركةِ والانطلاقِ والتَّجدُّد الذي هو من أسباب الحياة، ووصْفُ شفاء يدلُّ على التَّعافي وزوالِ أسباب الموت مِنَ المرض والاعتلال، ففي هذا التعاقُبِ بالواو مقابلةٌ بديعةٌ تَشفي وتعصِمُ، "فإنَّه بعد أنِ امتنَّ عليه بأن أيَّده بالعصمة مِنَ الرُّكون إليهم وتبشيرِه بالنُّصرة عليهم وبالخلاص من كيدِهم، وبعد أن هدَّدهم بأنَّهم صائرون قريبًا إلى هلاكٍ، وأنَّ دينَهم صائرٌ إلى الاضمحلال؛ أعلن له ولهم في هذه الآية: أنَّ ما منه غيظُهم وحنقُهم، وهو القرآنُ الذي طمعوا أن يسألوا النَّبيَّ أن يبدلَه بقرآن ليس فيه ذكرُ أصنامهم بسوء، أنَّه لا يزالُ متجدِّدًا مستمرًّا، فيه شفاءٌ للرَّسول وأتباعِه، وخسارةٌ لأعدائه الظّالمين"[4].

(1) الميسّر، مجمع الملك فهد، ص: 290، والمختصر في التفسير، مركز تفسير.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 188.
(3) صافي، الجدول: 15/ 102.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 188.

إيثارُ لفظِ الإنزالِ:

الحركةُ والفاعليَّةُ من مقوِّماتِ الشِّفاءِ

لفظُ التَّنزيل في قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ بديعُ المناسبةِ مع وصْفِ القرآن بـ﴿شِفَآءٌ﴾، فإنَّ كلا الوصفَين من أوصاف القرآنِ، فهو منزَّلٌ، وهو شفاءٌ، والشِّفاءُ إذا كان نازلًا؛ فهو شفاءٌ مضمونٌ خالصٌ؛ لأنَّه بعيدٌ عنِ اللَّوثات الأرضيَّةِ ومشحونٌ بنقاءِ العُلوِّ، ولفظُ الإنزال يدلُّ على الحركةِ والفاعليَّةِ التي هي من مقوِّمات الشِّفاء، ويدلُّ على وُثوقيَّة القرآن وعِصمةِ مصدرِه؛ لأنَّه نازلٌ من علوٍّ فلا تطالُه أيادي التَّحريف والتَّخريف، ولذا كان شفاؤه – أيضًا – لا ريبَ فيه؛ لأنَّه عُلْويٌّ لم يُكَدَّر بعوارضَ دونيَّةٍ تُنْقِصُ من تمامِه، أو تمنعُ من كمالِه.

دلالةُ التَّعبير بالمضارع المضعَّف ﴿وَنُنَزِّلُ﴾:

صفةُ الشِّفائيَّةِ لا تنفكُّ عنِ القرآنِ

التَّعبيرُ بـ﴿وَنُنَزِّلُ﴾ مضارعًا مضعَّفًا، للدَّلالة على التَّجدُّدِ والتَّكرار والكثرةِ، وهو وعدٌ بأنَّه يستمرُّ هذا التَّنزيلُ زمنًا طويلًا[1]، أي: ما يزال يتنزَّلُ بالشِّفاء الكثير الذي لا يُعدَمُه أحدٌ متى طلبَه، وقام بشرطه، وفائدةُ ذلك: الإشارةُ إلى أنَّ صفةَ الشِّفائيَّةِ لا تنقطعُ عنِ القرآن؛ لأنَّه ما يزال ذلك الشِّفاءُ يتنزَّلُ منه، وينحدِرُ.

وجهُ الإتيانِ بالفعلِ على صيغةِ الجمعِ المُعظَّمِ:

التَّنزيلُ من خصائصِ الألوهيَّةِ

قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ﴾ بنون العظمةِ؛ للدَّلالة على أنَّ شأنَ التَّنزيل عظيمٌ، فلا يقومُ به إلّا اللّه العظيمُ الجليلُ الواحدُ الأحدُ، ولذا فالجمعيَّةُ المُرادةُ منَ النّون مجازيَّةٌ؛ لأنَّه لا يُراد حقيقةُ الجمع، لتنزُّه اللّه عنِ التَّعدُّد، بل كمال العظمةِ، ولا يخفى أنَّ تَكرارَ مرّات النُّزول، ونزولَ الملائكة بالقرآن من إشارات نون الجمع هنا، كما قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ [النحل: 2]، فاللّه سبحانه وملائكتُه يصدرُ منهمُ التَّنزيلُ، وهذه جمعيَّةٌ، فيمكنُ على هذا الاعتبار إرادةُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 189.

المعنى الحقيقيِّ للجمع منَ التَّعدُّدِ ونفيِ الأحاديَّة، مع عدمِ نفيِ ذلك لمعنى التَّعظيم والجلالِ.

معنى ﴿مِنَ﴾:

الشِّفاءُ مخلوقٌ لله، والقرآنُ من كلامِه وصفاتِه، فالشِّفاءُ أثَرٌ من آثارِ صِفَتِه وفِعلِه

﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ بيانيَّةٌ، أي: ننزِّلُ شفاءً هو القرآنُ، كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: 30]، أي: الرِّجس الذي هو الأوثانُ، وتقديمُ البيان على المُبَيَّن، لتحصيل غرضِ الاهتمام بذكر القرآن[1]، ويصحُّ أن تكون للتَّبعيض[2]، مُلاحظةً لمعنى التَّبعيضِ والتَّفريقِ في لفظ: ﴿وَنُنَزِّلُ﴾، أي: مع كلِّ دُفعةٍ تنزلُ منَ القرآن شفاءٌ، فيؤولُ إلى أنَّ الشِّفاء مستغرقٌ لجميع أبعاضِ القرآن، وتفاريقِه، ويصحُّ أن تكون على بابها منَ الدَّلالة على ابتداء الغاية[3]، أي: وننزِّلُ ما هو شفاءٌ من جهة القرآن، وجميعُ هذه الاعتبارات بديعٌ في تخريجِه ويؤولُ - لِمَنْ تأمَّل - إلى المعنى الأوَّل، وهو بيانُ الجنسِ.

دلالةُ تعريفِ القرآن:

القرآنُ دائمُ الحضورِ بعينِه وأثَرِه

تعريفُ القرآن في ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾ للعهد الذِّهنيِّ باعتبار ما ثبتَ في اعتقادهم من تنزُّلِ القرآن بالفعل، وللعهد الحُضوريِّ باعتبار شهودِهم لما حضر منَ القرآن مكتوبًا بين أيديهم في الصَّحائف والسُّطورِ ومُلْقًى إليهم في الأسماع والصُّدورِ.

إيثارُ الموصولِ ﴿مَا﴾:

القرآنُ عافيةُ القلوبِ والأبدانِ

التَّعبيرُ بالموصول المشترك ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ لعوْده على مقصودٍ غيرِ عاقلٍ، وهو أنواعُ الشِّفاء التي لا تنحصرُ، فتدلُّ على معانٍ لا أعيانٍ، وهي بهذا المعنى تفيد العمومَ أيضًا في أفراد الشِّفاء الماديَّةِ والمعنويَّةِ في الأرواح والأبدانِ، وتفيدُ الإبهامَ الذي جاءت

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 189.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 7/ 402.
(3) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 7/ 403.

﴿مِنَ﴾ لتبيينِه وتعيين مجالِه وجنسه، في قوله: ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾، وأفادت ﴿مَا﴾ تعريفَ القرآن بالصِّلة ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ لغرض الثَّناءِ عليه، للدَّلالة على تمكُّن ذلك الوصفِ منه بحيث يُعرفُ به[1]، ففي التَّعريف بالصِّلة إشارةٌ إلى أنَّ الاستشفاءَ بالقرآن مألوفٌ مشتهرٌ، وفيه تعريضٌ بمن يستبعِدُ ذلك، ويستغربُه؛ لأنَّ التَّعريف بالصِّلة مُؤْذِنٌ بذلك.

بلاغةُ التَّعبير بالضَّميرِ المنفصلِ ﴿هُوَ﴾:

نِسبةُ الشِّفاء إلى القرآنِ عيْنُ يقينٍ لا يجحدُها إلّا مُسرِفٌ مُرتابٌ

مجيءُ صِلة الموصول بطريق الاسميَّةِ منَ الضَّمير المنفصل وخبَرِه في قوله: ﴿هُوَ شِفَآءٌ﴾، ولم يقل بالفعليَّة: (ما يشفي) للدَّلالةِ على يقينيَّة مضمونِ الصِّلة وللزيادة في تقريرها، فالتَّعبير بالاسميَّةِ ينفي استهجانَ المُستهجنين واستغرابَ المُستغربين لِكون القرآن شفاءً، وبدءُ جملة الصِّلةِ بالضَّمير زيادةٌ في تأكيد ذلك وتحقيقِه.

نكتةُ تنكيرِ ﴿شِفَآءٌ﴾:

كلُّ امرئٍ يصِلُ إلى شفاءِ القرآن بحقِّه وشرطِه

تنكيرُ لفظِ ﴿شِفَآءٌ﴾ من قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ لإفادة العموم، أي: مشتملٌ على صنوف الشِّفاء الرّوحيَّةِ والبدنيَّةِ، وليس معنى العموم في الشِّفاء أنَّه يشفي كلَّ أحد، فالعمومُ فيه، لا في المتناوِلين له؛ لأنَّ العمومَ في أفراد المتناولين له لا يحصلُ إلّا بتوفُّر شرطِه من تناوله بحقِّه، شأنَ كلِّ دواءٍ لا يشفي كلَّ متناولٍ له، إلّا بمراعاة شروطه وضوابطه والتَّجرُّدِ عن موانعه، ولذلك عبَّر بالمصدر، ولم يقل: (ما يشفي) أو (ما هو شافٍ)، ليَصِلَ كلُّ امرئٍ إلى شفائه بحقِّه الذي لا يصلُ إليه إلّا بوجوب مراعاتِه له.

لفظُ شفاءٍ استعارةٌ تصريحيَّةٌ حيث شبَّهَ زوالَ النَّقائصِ الخُلُقيَّة بزوال الأدواءِ الخَلقيَّةِ

بلاغةُ المجازِ في لفظ ﴿شِفَآءٌ﴾:

الشِّفاء حقيقتُه زوالُ الدّاء، ويستعملُ مجازًا في زوال ما هو نقصٌ وضلالٌ وعائقٌ عنِ النَّفع منَ العقائد الباطلةِ والأعمالِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 189.

الفاسدة والأخلاقِ الذَّميمة؛ تشبيهًا له ببُرْءِ السَّقَم[1]، فهو استعارةٌ تصريحيَّةٌ؛ إذ شبَّه زوالَ النَّقائص الخُلُقيَّة بزوال الأدواءِ الخَلقيَّةِ.

نكتةُ حذفِ متعلَّقِ الشِّفاءِ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

شـفـاءُ الـقـرآن تُلازِمُه الرَّحمةُ

لم يقل في السّياق الكريم: (ما هو شفاء للمؤمنين ورحمة)، فأخَّر المتعلَّقَ، ليدلَّ على أنَّ شفاءَه لا يكون إلّا رحمةً أو مصحوبًا بالرَّحمة، ولو قال: شفاء للمؤمنين، لم يدلَّ على أنَّه في شفائه مقترنٌ بالرَّحمة، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّه شفاءٌ خاصٌّ، فليس كسائر أنواع الشِّفاءِ التي تحصل من سائر الأدويةِ، وليس معنى أنَّه شفاءٌ خاصٌّ، أنَّه ينحصرُ في مجالٍ دون مجال، بل معناه: أنَّه خاصٌّ في كماله وأثرِه؛ لأنَّ معنى اقترانه بالرَّحمة، أي: لا يترتَّبُ عليه أعراضٌ مصاحبةٌ أو آثارٌ ضارَّةٌ كالتي لا تنفكُّ عن غالب الأدويةِ، بل هو شفاءٌ تلازمُه الرَّحمةُ، أي: شفاءٌ خالصٌ تامٌّ.

دلالةُ العطفِ بالواو:

الشِّفاءُ مصاحِبٌ الرَّحمةِ

العطفُ بالواو في قوله: ﴿شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ يفيدُ الجمعَ بين الشِّفاء والرَّحمةِ، فهما مشتركان في دخولهما حيِّزَ الصِّلة، أي: يُنَزِّلُ منَ القرآن الشَّيءَ الذي هو شفاءٌ ورحمةٌ، فالوصْفان يتواردان على الموصول: ﴿مَا﴾.

نكتةُ تنكيرِ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾:

آثارُ رحمةِ الله لا تنحصرُ

تنكيرُ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ للتَّعميم والتَّكثيرِ، أي: رحمةٌ عامَّة كثيرةٌ وعظيمةٌ، لا حصرَ لها ولشواهدها، ولا عدَّ.

سِرُّ تقديمِ الشِّفاءِ على الرَّحمة:

حصولُ الشِّفاءِ من تمام الرَّحمةِ

قدَّم الشِّفاءَ على الرَّحمة في: ﴿شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾؛ لكون الرَّحمة لا تتمُّ إلّا بالشِّفاء، فالشِّفاءُ بادِرةُ الرَّحمة، وفردٌ من أفرادها، وصورةٌ لتحقُّقِها.

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 574، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 189.

معنى اللام:

اللّامُ في قوله: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لامُ الأجل؛ للانتفاعِ والاختصاصِ، أي: شفاءٌ ورحمة لأجل انتفاعِ المؤمنين.

للمؤمنين حظٌّ خاصٌّ من عنايةِ الله

وجْهُ التَّعبير بالجمع السّالمِ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

التَّعبيرُ بجمع المذكَّر السّالمِ بصيغة اسم الفاعل في قوله: ﴿شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أفاد معنى الاسميَّةِ والفعليَّة معًا، فاسمُ الفاعل دلَّ على ثبوت الوصفِ بالإيمان لهم والتَّحقُّقِ به في الماضي والحال واستمرارِه في المستقبل، فدلَّتْ صيغتُه على الذّات والحدَثِ والزَّمن، مع إرادة الفعليَّة الدّالَّةِ على مُزاولتِهم لخصالِ الإيمان وأعمالِه لجرَيان الجمع السّالم مجرى علامةِ الجمع في الفعل، فـ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ قائمٌ مقامَ (يُؤمنون)؛ ليقعَ الإيمانُ لهم من أتمِّ الوجوهِ، وأيضًا (ال) التَّعريف في ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بدخولها على الوصفِ المشتقِّ وهو اسمُ الفاعلين، أفادت معنى الكمالِ في الصِّفة؛ مبالغةً في استجماعِهم خصائصَ الإيمان وخصالَه، كأنَّه قيل: (هو شفاء ورحمة للمؤمنين الرّاسخين في إيمانهم)، ومثلُ هذه الدَّلالات حاصلةٌ بضدِّها في لفظ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من قوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، فإنَّه على نفْس صيغةِ مُقابِلِه ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: الظّالمين العَريقين في الظُّلم المتحقِّقين به[1].

(ال) الموصولةُ الدّاخِلةُ على أسماء الفاعلين لها دلالةٌ على إفادةِ الكمالِ

دلالةُ العطفِ بالواو:

جملة ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ معطوفةٌ على قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾[2] من باب عطفِ الحال على الحال، أي: حال المؤمنين مع القرآن الشِّفاءُ والرَّحمة، ومع الظالمين زيادةُ الخَسار والبوارِ، وبين المعطوفَين مقابلةٌ بين الحال وضدِّه.

العبدُ منَ القرآن دائمًا في زيادة، فإمّا إلى إيمانٍ وإمّا إلى خُسرانٍ

(1) خالد الأزهريّ، التّصريح: 1/ 583، وفاضل السّامرائي، معاني الأبنية، ص: 126.
(2) صافي، الجدول: 15/ 102.

سرُّ التَّعبيرِ بالمضارع ﴿يَزِيدُ﴾:

الزّيادةُ إضافةٌ على موجودٍ، وبناءٌ على حاصلٍ

اصطفاءُ فعل الزّيادة في قوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ﴾ فيه زيادةُ تهكُّم بهم؛ لأنَّ الزّيادة فعلٌ مُحبَّبٌ، فحينما تتوجَّه إلى المكروه والخُسران، يكون مبالغةً في التَّيئيس والتَّقبيح، وفي استعمال الزّيادة تنويهٌ إلى عراقتهم في الظُّلم والخسارة؛ لأنَّ الزّيادة لا تكون إلّا على أصلٍ ثابتٍ متحقِّقٍ، فهم يزدادون قُبحًا ونقصًا على نقصِهم وقبحِهم.

بلاغةُ المجازِ العقليِّ في إسناد الزّيادةِ إلى القرآن:

سببُ الخسرانِ شُؤمُ الأفعالِ

إسنادُ الزّيادة إلى القرآن في قوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ مجازٌ عقليٌّ أُسنِد فيه الفعلُ إلى غير فاعله؛ لأنَّ سببَ خُسرانهم هو شؤمُ أفعالهم، وما كسبتْ أيديهم منَ الظُّلم والكفرِ، لكنْ لمّا كان القرآنُ سببًا في امتحانهم وإظهارِ غيظهم؛ أُسنِد الفعلُ إليه[1]، وفائدةُ الإسناد إليه: التَّعجيبُ من شأن القرآن حيث كان مَوردًا لضدَّيْن متقابلَين: الشِّفاءِ للمؤمن والهلاكِ للظّالم.

علَّةُ العُدولِ من (الكافرين) إلى ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

لا يلومُ العبدُ إلّا نفسَه ولا يخافُ إلّا ذنبَه

اختير وصفُ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في السّياق الكريم دون غيره كـ(الكافرين)، ليدلَّ على أنَّهم وضعوا القرآنَ في غير موضعِه من جحوده وعدمِ التَّصديق به، فوُضِعوا في مواضعِ النَّقص والهلاكِ[2].

نكتةُ تنكيرِ ﴿خَسَارًا﴾:

شرُّ الخسارةِ ما لا تَدارُكَ بعدَها

تنكيرُ ﴿خَسَارًا﴾ للتَّعميم، والتَّعظيم، أي: خسارًا مُستحكِمًا، جامعًا لألوان النَّقص والهلاكِ.

إيثارُ صيغةِ المصدرِ ﴿خَسَارًا﴾ دون غيره:

وزنُ (فَعال) يجري في الجزاءات التّامَّةِ كالثَّوابِ والهلاكِ والبَوارِ

لفظُ ﴿خَسَارًا﴾ في قوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ مصدرٌ سماعيٌّ لفعل (خسِر) الثُّلاثيِّ باب (فرِح)، على زِنةِ (فَعال)، وثمَّةَ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 139.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 498.

مصادرُ أخرى للفِعل هي (خَسْر - خَسَر) بفتح فسكون أو فتح، و(خُسْر - خُسُر) بضمٍّ فسكون أو بضمَّتين، و(خَسارة) بفتح الخاء، و(خُسْران) بضمِّ الخاء[1]، ومع ذلك اختار التَّعبيرَ بـ﴿خَسَارًا﴾ دون (الخُسر أو الخَسارة أو الخُسران)، ونُكتة ذلك: أنَّ (الخُسر) هو مطلقُ الخسارة، يُستعمَلُ لعموم الخسارة، فكلُّ إنسانٍ هو في خُسرٍ قليلٍ أو كثير، حتى المؤمن يرى أنَّه خسِر شيئًا كان يمكن أن يستزيد منه، ولم يستزِد، هذا الخُسر، و(الخَسار) لم يستعمله القرآنُ إلّا للزّيادة في الخسارة، أي: ما زاد من الخُسْر فوق الخسارة، هذه الزّيادةُ يسمّيها خَسارًا، كقوله في هذه الآية: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ۝٣٩﴾ [فاطر: 39]، وقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١﴾ [نوح: 21]، ولذا يقترن هذا المصدرُ بفعل الزّيادة، و(الخُسران) هو أكبرُ الخسارة وأعظمُها؛ ولذا وصِف بـ(المُبين) في قوله: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١﴾ [الحج: 11]، فهو لم يخسر شيئًا بسيطًا، أو لم يزدد خسارةً فقط، إنَّما خسر الدُّنيا والآخرةَ؛ ولذا يزيدُ في بناء المصدر، ليدلَّ على الزّيادة في معنى الخسارة، فالخسارُ زاد فيه الألفَ على الخُسر، والخسرانُ زاد فيه الألف والنّونَ عليهما، فالخُسرُ هو البداية، والخسارُ فوقها، فزادَ الألف، والخسرانُ أعظمُ الخسارة، فزاد الألف والنون[2].

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظ (الخُسران):

مآلُ عملِ الكافرِ خيبةٌ، وحبوطُ عملٍ

الإخْسارُ: نُقْصانُ التِّجارَةِ، واسْتُعيرَ في الآية لِخَيْبَةِ العَمَلِ؛ إذ شَبَّهَ عَمَلَهُم في الكُفْرِ بِعَمَلِ التّاجِرِ والخاسِرِ الَّذي بارَتْ سِلْعَتُهُ، فَباعَ بِأَقَلَّ مِمّا اشْتَراها بِهِ، فأَصابَهُ الخَسارُ، فَكُلَّما زادَ بَيْعًا؛ زادَتْ خَسارَتُهُ حَتَّى تُفْضيَ بِهِ إلى الإفْلاسِ[3].

(1) صافي، الجدول: 15/ 103.
(2) فاضل السّامرائي، برنامج لمسات بيانيّة، قناة الشّارقة.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 190.

بلاغةُ الاستثناءِ المُفرَّغِ:

النَّفيُ التّامُّ دليلٌ عـلى الـثُّـبـوت التّامِّ لضدِّه

جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ بطريق الاستثناء المُفرَّغ، ليدلَّ على تمام ظلمِهم وعظيم حرمانهم، فلم ينتفعوا بالقرآن طرفةَ عينٍ، وهو مصدرُ المنافع ومجْمَعُ المواهب، فنفَى عنهم الانتفاعَ به من جميع الوجوه، والنَّفيُ التّامُّ دليلٌ على الثُّبوت التّامِّ لضدِّه، ولذا ثبتَ لهم كاملُ الضَّرر بزيادة الخُسران والهلاكِ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»